الثموديون

اعداد :

ابراهيم يوسف الشتلة

الجزيرة العربية
أنها الأرض التى عاش عليها الثموديون وهى الأرض التى أعطت العراق ومصر والشام العناصر البشرية التى أنبتت بها الحضارات وهى المنهل الذى يروى فيه العلماء ظمأهم الشديد نحو معرفة سمات تلك العناصر البشرية ... التى كانت سببا فى إشعاع نور الحضارات فى الشرق القديم

إبراهيم يوسف أحمد الشتلة

الثموديون

يعتبر الثموديون من القبائل العربية الذين عاشوا وتجولوا في الجزيرة العربية ، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم ، قال تعالى

« والى ثمود أخاهم صالحاً ، قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »

صدق الله العظيم

وقال تعالى

« وثمود الذين جابوا الصخر بالواد »

صدق الله العظيم

وقد خلفوا لنا القليل من الصخور المنقوشة بكتاباتهم ورسومهم التي تنتشر في جنوب وشمال ووسط الجزيرة العربية ، ويمكن القول بأن الثموديين كان لهم الفضل الكثير في معرفة تاريخ وحضارة الجزيرة العربية من خلال ما تركوه لنا من نقوش ورسوم ، وكونوا الابجدية الثمودية ، التي بمعرفتها امكن قراءة وترجمة كتاباتهم ، وبدراسة هذه تم القاء الضوء على حضارات الجزيرة العربية خاصة وحضارات بأبجديتها الكاملة حلقة بين أبجديات جنوب الجزيرة العربية وشمالها حيث كان للثموديين في الشمال قوة عظيمة ، ونشاط تجاري مزدهر استطاعوا عن طريق نفوذهم ونشاطهم التأثير على حضارات الشمال ، واذا كانت نقوشهم يعود بعضها الى قرابة ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، فيمكن أن نتصور ما كانت عليه مجتمعاتهم النشطة خاصة وأنهم تجولوا في ارجاء الجزيرة العربية ، لكنهم لم يتركوا لنا آثار قائمة او مدن باقية لهم . فكل ما تركوه هى النقوش والرسوم .

ويقول بعض علماء الآثار والدراسات الشرقية القديمة بان الدوائر البحرية المنتشرة في كافة انحاء الجزيرة هى أماكن تجمعات ثمودية ، إلاّ أن الأدلة الأثرية والتاريخية التي تؤيد ذلك لم تظهر بعد غير ان الآثار الثمودية تقترن فى بعض المواقع مثل الحناكية شمال حائل لى اكثر من ثمانية آلاف سنة وربما تكون الثمودية امتدادا لها .

وكانت النقوش الثمودية محل نقاش واهتمام علماء الآثار والدراسات الشرقية خلال الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الرياض هذا العام ١٣٩٩ هـ حيث عرض العالم الاثرى أ.ج. دروز في الندوة التسلسل الزمني لحضارات الجزيرة العربية من خلال النقوش التي خلفتها لنا الحضارات القديمة بها ، وذكر بأن المخربشات الثمودية التى تتواجد بكثرة هائلة فى جميع انحاء عرب الجزيرة العربية هى واحدة من أهم مصادره فى تأريخه لحضارات الجزيرة وتسلسلها الزمنى ذكر فورستر Forster فى كتابه الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية Histovical Geography of Arabia أن

قبائل ثمودينى Thamudeni أو ثموديتاى Thamuditae هم أكثر القبائل شهرة وهم الذين ذكروا فى الكتب الكلاسيكية وينتمون الى ثمود Thamud الذين كانوا منذ آلاف السنين فى جنوب الجزيرة العربية وطردهم الحميريون وهاجروا الى بلاد الحجاز وانتشروا فى شمال الجزيرة العربية .

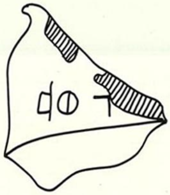

نقش ثمودى على إحدى الصخور

Modiana أو Madiana وكانت معظم سواحل البحر الأحمر تحت سيطرتهم وتحكموا فى طرق التجارة وتنظيمها وتوفير الحماية لها وكان لهم قوة كبيرة فى شمال الحجاز والجزيره العربية وكانوا منتشرين فى معظم تلك المناطق بقوتهم ونفوذهم ويبرهن على ذلك العديد من النقوش الثمودية التى تركوها لنا .

وقد اهتم الجغرافيون الأوربيون بالبحث عن ما خلفته الحضارات القديمة فى الجزيرة العربية ، وقام العديد منهم خلال القرنين السابقين باكتشاف العديد من النقوش الثمودية ، أثبتت لنا تلك النقوش مدى ما كانوا عليه من قوة وتأثير ، وألقت مزيداً من الضوء على حياتهم ومجتمعاتهم .

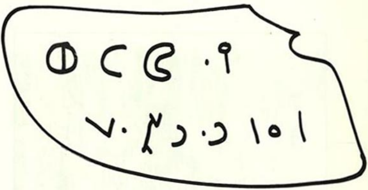

نقش ثمودى على جزء من حجر

وذكرت النقوش المسمارية بالعراق ، أن الثموديين الذين يعيشون فى الجزيرة العربية يسكنون منطقة تسمى بـ خاجابا Hajappa وذكرت فى الانجيل بإسم Efa وهذا الاسم مذكور ومحفوظ على نقوش معبد روافسا .

وذكرت بعض المصادر أن الثموديين اشتركوا فى حروب الرومان بقيادة الامبراطور جستنيانوس الذى إستخدمهم في بداية القرن السادس الميلادى كفرسان مهرة فى جيوشه ، نظراً لما كانوا يتمتعون به من قوة حربية بارعة ومهارة فى ركوب الخيل واستخدام أحدث وسائل القتال وقتذاك ، الأمر الذى جعل الاباطرة الرومان يستعينون بهم ، لاكقوات احتياطية أو للامدادات بين صفوف جيوشهم ، لكن استخدموا كقوات من الدرجة الأولى فى القتال .

وفى رأيي أن الرومان بعد فشل جيوشهم فى الحروب داخل الجزيرة العربية وبسبب عدم كفاءة قواتهم القتالية في الصحراء — حيث كانت معظم حروبهم وانتصاراتهم داخل أوربا وفى دول البحر الابيض المتوسط — لذلك كانت قواتهم تفتقر الى خبرة طويلة فى ضروب الصحراء ، وما قد وصل اليه الجيش الروماني من فشل خلال حملة إيليوس جالوس عام ٢٤ قبل الميلاد ، داخل الجزيرة العربية خير دليل على ذلك .

وكان على الرومان العمل على الاستعانة بأمهر الفرسان المدربين على الحروب داخل الجزيرة العربية ، للاستعانة بهم فى حروبهم ضد قبائل الشرق ، ووجد أباطرة الرومان فى فرسان القبائل الثمودية خير معين لهم فى حروبهم ، وبذلك يمكن القول بأن الثموديين لم يكونوا

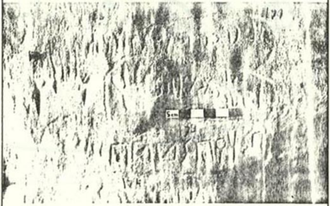

نقوش ثمودية — جانين

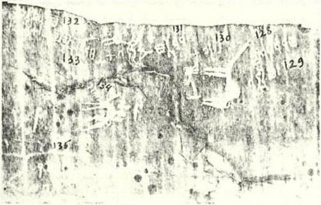
132
131
130
128
133
129
134
135

نقوش ثمودية — برقاء سعد

مجرد تجمعات ازدهرت تجارتهم بل كان لهم من القوة ما جعلهم يسيطرون على اماكن شاسعة شمال وغرب الجزيرة العربية ورأى فيهم أباطرة الرومان الأمل على نجاح حملاتهم فى المنطقة .

وذكر الكتاب الكلاسيكيون أنهم سيطروا على معظم المنطقة العربية الصخرية Arabia Petraea وهى المنطقة التى تقع شمال غرب الجزيرة العربية ، حيث اطلق الكتاب الكلاسيكيون على الجزيرة العربية أسماء ثلاثة :

العربية الصخرية	1 - Arabia Petraea
العربية الصحراوية	2 - Arabia Deserta
العربية السعيدة	3 - Arabia Telix

وذكر الكتاب أن الثموديين سيطروا على شمال وغرب الجزيرة وهى المنطقة التى اطلقوا عليها — كما ذكرت من قبل — Arabia Petraea « العربية الصخرية »

ذكر ريد W.L. Reed فى كتابه :

Ancient Records From Northern Arabia

وثائق قديمة من شمال الجزيرة العربية أنه تم العثور فى سكاكا على حجرين عليهما نقوش

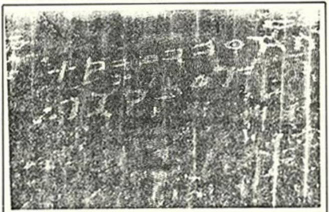

نقوش ثمودية — الثنايت

وأول إشارة تاريخية مسجلة تذكر الثموديين ظهرت فى قائمة سرجون II بالعراق ، حيث عثر على قائمة باللغة المسمارية تذكر الملك سرجون فى احدى انتصاراته التى حققها بعد حملاته على الجزيرة العربية وتؤرخ بعام ٧١٥ قبل الميلاد وتقول :

« إن قبائل ثمود وعباديد مرسمان
وخيابا من قبائل العرب سكان البادية
الذين لم يصل خبرهم الى حكيم ولا عالم
ولم يدفعوا الجزية لأحد قبلى ، كل هذه
الأمم نجلتها باسم آشور إلهى .... »

ذكر فيلبى Philby فى كتابه Sheba's Daughters أنه عثر على حدود الربع الخالى على صخرة ضخمة عليها العديد من النقوش الثمودية وقد ذكر برين دو Brian Doe فى كتابه جنوب الجزيرة العربية Southern Arabia ان الخربشات Graffiti التى توجد وتنتشر بكميات هائلة على الصخور فى جنوب الجزيرة العربية والتى تركها الثموديون وتحتوى على العديد من الكتابات الثمودية والاشكال الأمية ، وأنواع عديدة من الحيوانات والنباتات ، كل ذلك يوضح لنا مدى ما وصلوا اليه من تقدم وازدهار فى مجتمعاتهم فى جنوب الجزيرة العربية .

ومع أن هناك العديد من الكتابات الثمودية بجنوب الجزيرة العربية بحروفها الكثيرة ، إلاّ أنها لم تعطينا تطورا واضحا للابجدية الثمودية — كما تبين لنا كتابات الشمال — لكنها فى نفس الوقت تعطينا الشخصية المميزة والمعروفة للكاتب القديم فى جنوب الجزيرة العربية .

وأول ترجمة لهذه النقوش المبكرة التى عثر عليها فى الجنوب ، قام بها العالم إميل ريدجر Emik R.Rödiger عام ١٨٣٧ م ، وكذلك العالم فيلهلم H.F. Wilhelm عام ١٨٤١ م .

وأول نص متكامل نحويا عثر عليه فى جنوب الجزيرة نشر بمعرفة العالمة ماريا هيفنر Maria Höfner عام ١٩٤٣ م ، وقد أكمل دراسة جميع النقوش الثمودية التى تم جمعها من مختلف مناطق الممالك القديمة ، العالم A.F.L. Beeston ، وقد عثر على مناطق النقوش فى منطقة لحج Lahej ومنطقة وادى حضرموت وجميعها تؤكد وجودهم فى الجنوب قبل الميلاد بآلاف السنين فى مجتمعات ثقافية ومتحضرة .

ذكر موسيل A.Musil فى كتابه « شمال الحجاز » Northern Hegaz ان القبائل الثمودية التى هزمها الملك الآشورى سرجون فى القرن الثامن قبل الميلاد هى نفس القبائل التى ذكرها الجغرافيون والمؤرخون اليونان والرومان . وذكر ديودورس الصقلى Diodorus S. فى كتابه «كتاب التاريخ» Bibliotheca Historica ان القبائل الثمودية كانت منتشرة في أماكن عديدة على الساحل الغربى للجزيرة العربية حيث كونوا مجتمعات كبيرة ومتحضرة تعمل بالتجارة وذكره بطليموس Ptolemy فى كتابه Geography ان الثموديين منتشرون فى شمال غرب الجزيرة العربية ووفقا للنقوش الثمودية العديدة على معبد روافا الذى شيد فى القرن الثانى الميلادى ـ وترك لنا الثموديون العديد من النقوش على جدرانه ، يتبين لنا أن مجتمعات الثموديين كانت منتشرة فى جميع مناطق واحة تيماء وخاصة جهة الغرب بالقرب من الطريق

العظيم الذى يوصل من جنوب الجزيرة العربية الى سوريا شمالاً .

وذكر بطليموس Ptolemy ، أنهم سكنوا منطقة مدين Madan أو ثمودية بالاضافة الى العديد من النقوش التى تركوها لنا فى بلاد نجد وهى نقوش ثمودية ذات الطابع النجدى الذى يختلف عن الطابع الخاص بالنقوش الثمودية فى منطقة تبوك ومنطقة الحجاز فى حائل على جبل ياطب اكتشفت مئات من النقوش الثمودية التى ساعدت على كشف جوانب متعددة فى تاريخ وحضارة الثموديين .

فى منطقة الجوف عثر على مخربشات ثمودية عديدة ذات الطابع الحجازى ، اكتشفها هوبر Huber ويوتنج Euting ، وكذلك نقوش الطوير شمال سكاكا التى نشرها فان دن براندن Van den Branden وكل هذه النقوش تعطينا معرفة طيبة عن حياة الثموديين .

أعطى ريد Reed فى كتابه السالف الذكر العديد من النقوش الثمودية على الصخور ، وقد أعطى أبجدية كاملة للحروف الثمودية ، وظهر من النصوص الثمودية المتعددة فى شمال ووسط وغرب الجزيرة العربية ، ان الثموديين كان لهم لهجات عديدة ، وقدأورد ريد Reed الابجدية الخاصة بقبائل منطقة تبوك فى الشمال ووصلت حروفها الى عدد ٢٧ حرف منها أحرف أخذت أشكالاً متعددة مثل :

حرف « م » ظهر له ٦ أشكال مختلفة .
حرف « ش » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .
حرف « ف » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .

ولم يظهر حرف « ض » في أبجدية قبائل تبوك أما أبجدية قبائل الحجاز فقد اشتملت على عدد ٢٦ حرف ، من بينها أحرف أخذت أشكالا متعددة مثل :

حرف « أ » ظهر له ٤ أشكال مختلفة .
حرف « ك » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .

وقد ظهر حرف « ض » فى أبجدية الحجاز فى حين اختفت حروف « غ » و « ظ » .
أما أبجدية قبائل نجد فقد اشتملت على عدد ١٧ حرف فقط .

لكن الأمر لم ينته على ما أورده ريد فى الايجديات الثمودية ، فما زالت رمال المملكة العربية السعودية تخفى فى طياتها العديد من الادلة الاثرية التى تؤرخ للثموديين وجبال المملكة ما زالت قممها تحمل العديد من الصخور المنقوشة بالكتابات والنصوص الثمودية التى سوف تعطى المزيد من تطور كتاباتهم ومن ثم الثقافة والفكر .

وقد عرض الاستاذ/عبد المنعم عبد الحليم سيد خلال الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الرياض هذا العام ١٣٩٩ هـ موضوعا بعنوان « المظاهر الحضارية فى شبه الجزيرة العربية » وحاول فيه إبراز اللغة الثمودية كفرع من فروع الكتابة السامية ، وتساءل عما إذا كان الاصل المصرى القديم للكتابة السامية الجنوبية « بفرعيها العربي الجنوبي والعربي الشمالي » عن طريق اشتقاق حروف هذه الكتابة من علامات الكتابة البروتوسينائية

Proto-Sinaitic وهل تم ذلك باشتقاق حروف الكتابة العربية الجنوبية « السبئية وغيرها » فى اليمن من البروتوسينائية . ثم من العربية الجنوبية اشتقت الكتابة العربية الشمالية « الثمودية » وما شابهها .... ؟ أم كان ذلك الانتقال عن طريق اشتقاق حروف إحدى كتابات الحجاز القديمة التى يسميها بعض الباحثين « الثمودية القديمة » — تمييزا لها عن الثمودية المعروفة — من البروتو سينائية . ومن الثمودية القديمة اشتقت حروف الكتابة العربية الجنوبية ... ؟

كل هذه التساؤلات التى أوردها الاستاذ عبد المنعم عبد الحليم سيد فى الندوة ، سوف نجد أجوبتها واضحة من خلال مجهودات إدارة الآثار والمتحف في البحث والتنقيب عن الثموديين وباقى شعوب الجزيرة العربية .

ويتضح من خلال ما تم الكشف عنه من كتابات للثموديين ، أن حضارة الثموديين كانت اكثر ازدهارا من المناطق الغربية والشمالية فى تبوك والعلا ووادى السرحان والحجاز ، وقد قامت إدارة الآثار والمتاحف بعمل مسح أثرى شامل لتلك المناطق الشمالية وتم العثور على العديد من النقوش الثمودية .

وقد تم الكشف خلال المسح الاثرى عام ١٣٩٨ هـ فى منطقة جبة على العديد من النقوش الثمودية يعود تاريخها الى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وقد ألقى الاستاذ/أحمد حسين شرف الدين . خبير اللغات العربية القديمة بإدارة الآثار والمتاحف وقتذاك القى الضوء على تاريخ منطقة جبة التى احتوت على هذه النقوش الثمودية ، ويقول فى تقريره عن جبة :

إن تلك المنطقة كانت مكاناً يستريح فيه رجال القوافل التى تسافر بين نجد ودومة الجندل وكانت همزة الوصل التجارية والعسكرية بين منطقتين هامتين وحيويتين .

أما فى الماضى السحيق فكانت دون شك مركزاً لتجمع بشرى زاخر يدل على ذلك آلاف النقوش والصور والخربشات التى يضمها جبل أم سلمان الذى يهيمن على البلدة من الشمال الى الجنوب بطول ٦ كيلومترات وتعتبر النقوش الكثيرة والمنتشرة في انحاء متعددة من جبل أم سلمان دليلاً واضحا على وفرة سكان المنطقة فى القدم ، كما تعتبر الصور الفنية المحفورة على الصخر والموجودة فى موقع الثنايت وأم شداد والفوطة والشلالة والحنيكة .... دليلاً صريحاً على قيام حضارة فى هذا المكان كما تمثل المستوى الفنى الذى شهدته الجزيرة العربية خلال الالف الثالث قبل الميلاد .

وفي جبة تم العثور على عدد ٣٢٤ نقشاً ثمودياً ، وتتسم هذه النقوش فى جبة وكذلك فى حائل بأنها من النوع المعروف بالثمودى النجدى وقليل منها من ذلك النوع المعروف الشائع فى المنطقة الشمالية الغربية والمعروف بالثمودى الحجازى ...

وتتميز نقوش جبة لا سيما الموجود منها في موقع الثنايت بخاصية فريدة فى الاسلوب الكتابى وجمال الخط ومدلول المحتوى

ويتضح فى الخلاصة صورة ما كان عليه الثموديون من تقدم فكرى وثقافى الى جانب تقدمهم الحضارى .

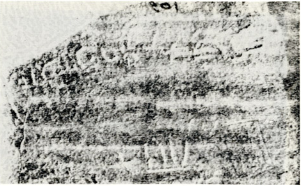

نقوش ثمودية ـــ قلعة بن مسعود
تقرير الاستاذ/أحمد حسين شرف الدين عن نقوش جبة

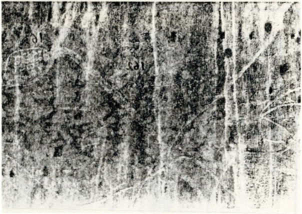

نقوش ثمودية ـــ الحناكية

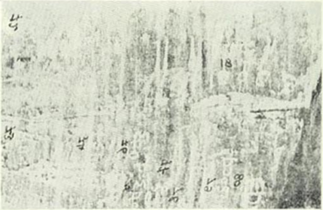

نقوش ثمودية — قلعة السمح

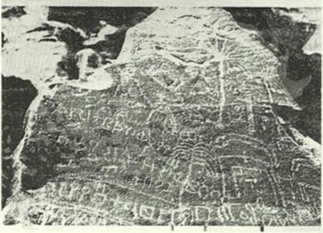

نقوش ثمودية — جبل ياطب

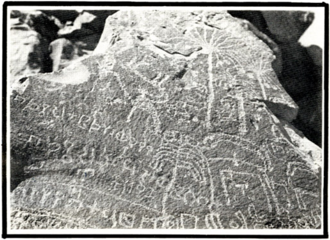

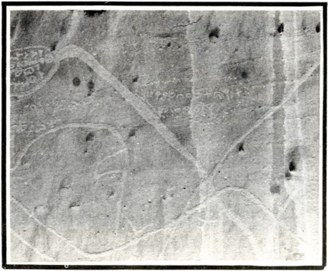

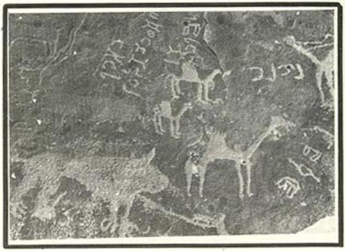

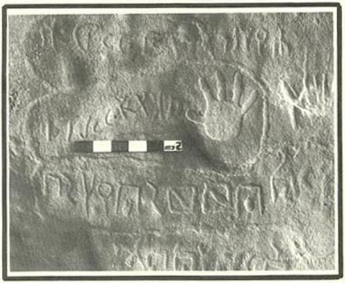
5cm

مراجع البحث

1 - Forster,
Historical Geography of Arabia,Duncanand Malcoln, London
2 - C.M. Daughty,
Travels in Arabia, Randson House, Newyork, 1921
3 - H.ST.J.B. Philiby.
Sheba's Daughters, Methuen and Co, London, 1939
4 - A.Musil,
Northrn of Hegaz, Newyork, 1926
5 - W.L. Reed, T.V. Winnett,
Ancient Records From North of Arabia, Toronto Press 1970
6 - Brian Doe,
Shouthern Arabia, Thames and Hudson, 1971

٧ — جورجي زيدان.
العرب قبل الاسلام ، دار الهلال
٨ — أحمد حسين شرف الدين
تقرير المسح الأثرى عام ١٣٩٨ هـ
إدارة الآثار والمتاحف